السلفيين بين سلطة الجماعة المرجعية وثقافة التمايز والصراع مع القيم المحلية:

دراسة ميدانية لعينة من الشباب السلفي

رقاد الجيلالي، أ. د: بوعناني ابراهيم[2]
1- طالب دكتوراه، جامعة أبو بكر بلقايد- تلمسان.
djalilrekad13@gmail.com
2 - جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس.
brahim_socio@yahoo.fr
تاريخ الإرسال: 2020/03/07 ؛ تاريخ القبول: 2020/12/04

Salafists between the authority of the refrencial group, culture of differentiation, and conflict with local values ; field study of a sample of Salafi youth

A. rekad djilali, B. Bouanani Brahim

Abstract: The authority of the reference group of the salafis makes them presuppose excessively with its values due to their strong desire th rearrange the local values which lead them to onset the conflict the differentiation with the family on one side, and with the society in general on the other side. In this context, the young salafis commence to compensate the local values with the ones made by the refrencial group as well as having a kind of readiness to live within or under its symbolic authorization that is constructed to reject all what is categorized yo be local by judging those social traditions and norms as falsifications in all the levels, so they need to be replaced by theirs as they believe. In addition, these beliefs makes this group more enclosed and introverted. As a result, they are considered as "different" and " conflicted" with their own societies, and basically, this is what we aim to tackle in this study.

Key words: salafism, differentiation, conflict, salafist values, local values.

الملخص: إن سلطة الجماعة المرجعية لدى السلفيين، تجعل منهم يسلمون بصورة مفرطة لقيمها، رغبة منهم في إعادة ترتيب القيم المحلية، وهنا يبدأ التمايز والصراع مع العائلة والمجتمع، ويبدأ السلفيين الشباب في تعويض القيم المحلية بقيم الجماعة السلفية، وينشأ لديهم استعدادات للعيش في كنف سلطتها الرمزية، التي تشكلها هواجس تلك النصوصية المفرطة تجاه كل ما هو محلي، فتتضخم القيم السلفية وتبدأ في تصنيف وتنميط ممارستهم وسلوكهم اليومي، لتجعلهم أكثر تمسكا بقيم متصلبة، في محاكمة قيم الشرائح الاجتماعية، التي لا تتناسب مع فهم الجماعة المرجعية، مما يجعل قيمهم بمثابة البديل للحكم على الموروث والتوسع في قياسات غير متناسقة على الاعراف والتقاليد، بصورة تشويهية ومتزمتة، تؤدي بالسلفيين إلى مزيد من الانغلاق والانطواء، فتحتم عليهم التمايز والصراع مع قيم مجتمعهم، وهذا ما نريد معالجته.

الكلمات المفتاحية: السلفية؛ التمايز، الصراع؛ القيم السلفية؛ القيم المحلية.

مقدمة:

يرى « زيجمونت باومن» في كتابه « الأخلاق في عصر الحداثة السائلة»: أن صلابة المرحلة السابقة ذابت، فتداخلت الحدود وتراخت السمات وازدادت ضبابية وتشابه، حتى صار من المكمن أن نتحدث عن سيولة أو ذوبان، سواء أكان ذلك في حدود الدول أو معالم المجتمع أو سمات الهوية الفردية أو خصائص الثقافات(زيجمونت باومن، 2016: 11)، مقولة تعكس بحق ما يحدث للقيم المحلية وسمات المجتمع وهويته، وهنا يمكن القول أن الجماعة السلفية، استطاعة في العقود الأخير احتلال موقع مرموق في ترسيخ قيمها ومعتقداتها لدى الكثير من الشباب، الذي يعاني تشرنقا وآزمات هوياتية، وبالتالي استطاعت القيم السلفية أن توفر له الملاذ الذي يعتبره آمنا، في مقابل القيم المحلية التي يسمها بالبدعة والانحراف والزيف، ليبدأ بالفرز والتمايز والصراع معها، والتسليم بقيم الجماعة المرجعية، ويعتبرها تريد إصلاح وترميم ما يمكن ترميمه.

الإشكالية: إن الهاجس الذي يعيشه الشباب، يمكن أن يرتقي إلى مستوى الهوس، بكل ما يميزه عن المجتمع العام، أو العادي، فالشباب السلفي في رحلة لا تنتهي من أجل البحث عن القداسة، إنها ببساطة كل ما يزيد من محنته، وشعوره بالغربة والاختلاف، فالاندماج الاجتماعي بالنسبة للفرد السلفي، هو شعوره بالاغتراب عن المجتمع، وصراعه الدائم مع قيمه، ليس عن طريق العنف، أو الانسحاب وتكوين مجتمع موازي، بل عن طريق الاستفزاز الثقافي، والديني، وضرب كل قيم المجتمع عرض الحائط، إنها عقلية تعسفيه تلفظ الثقافي وقيمه، وتتهم كل ممارساته الموروثة بالضلال، وتقديم وصفة النجاة والخلاص امتثالا للنص ، ومن هنا ندرك أن الجماعة السلفية، تريد تغيير المجتمع، عن طريق إقناعه بضلاله وبدعية قيمه، وأن كل ما يقوم به، مخالف لطريق الخلاص الوحيد، الذي يعرفه السلفيون فقط، ويعيشون قيمه، ويدعون غيرهم للعيش على طريقته، من خلال هدم وإعادة بناء قيم المجتمع وأبنيته وروابطه، فالشاب عندما يعتنق السلفية، يتحول من تابع إلى قائد، ومن متلقي إلى مصدر للإلقاء، ومن مشكوك فيه وفي قدراته، إلى محتسب ومراقب لكل أفراد المجتمع وقيمهم، وهنا نلتمس نوع من التحرر والانعتاق من سلطة التقاليد والقيم المحلية، وتحرر الشباب وتحوله إلى مصدر للمعرفة، بل ومعترض على كل ما يقدمه الآباء في الأسرة وأفراد المجتمع، من معارف وقيم، قد يصنفها في خانة الشركيات والبدع المنكرة، ولذلك نجد الفرد السلفي الشاب، يحمل صورة متشائمة وسوداوية حول قيم مجتمعه، الذي يشعر أنه جاهل، وفي نفس الوقت، يوظف جهله كنوع من السلطة لقهر كل المعارف الأخرى والنيل منها، والتمسك بالقيم المحلية، التي يصفها السلفيين بالبدعة والانحراف، وهنا يمكن أن نطرح التساؤلات التالية:

لماذا يساهم السلفيين في إقامة هذه القطيعة مع القيم المحلية للمجتمع؟

وكيف تساهم سلطة الجماعة المرجعية للشباب في إنتاج التمايز والصراع مع القيم المحلية للمجتمع؟

الفرضيات: يعتبر زمن الفرضية، الزمن الذي يتخيله الباحث حلا لمعضلة(نادية عيشور، وآخرون، 2017: 125)، ويمكن التحقق منه ميدانيا، فكانت فرضيتنا كالآتي:

- **سلطة الجماعة السلفية كمرجعية، هي الدافع لبناء ذلك الاستعداد لدى الشباب، لإنتاج القيم السلفية كبديل للتمايز والصراع مع القيم المحلية للمجتمع .**

أجرأة المفاهيم: يمكن القول أنها تجعل الموضوع قابلا للفهم وهي كالآتي:

السلفية: وهي جماعة دينية إصلاحية تركز على العقائد والعبادات، وتتبنى اتباع الكتابة والسنة بفهم سلف الأمة، وتجعل من نفسها الأَوْلَى بالإسلام ومحاربة البدع والخرافات، وتصحيح القيم الاسلامية للمجتمع، وإعادتها للمضمون الأصلي، أو بالتمسك بما كان عليه القرون الثلاثة الأولى.

التمايز: ونقصد به، ذلك التباين والاختلاف عن قيم المجتمع، والتآزر والتعاضد بين الشباب السلفيين وتمييز أنفسهم بقيم وأدوار، يعتبرونها امتدادا للجماعة المرجعية وضد القيم المحلية، حيث يصبح الاختلاف في القيم، محفزا للاغتراب والانسحاب والصراع مع المجتمع.

الصراع: ونقصد به تلك التعارضات التي تحدث جميع السجالات والتناقضات الثقافية والمظهرية، بين السلفيين الشباب وشرائح المجتمع حول القيم المحلية.

القيم السلفية: ونقصد بها جميع المبادئ والسلوكات، التي تحددها المرجعية السلفية وفق القواعد والضوابط التي تعتبرها دينية وعقائدية.

القيم المحلية: ونقصد بها جميع المبادئ التي تميز المجتمع، من المعتقدات والعادات والاعراف الموروثة ثقافيا.

المقاربة النظرية: إن طبيعة الموضوع جعلتنا نستخدم الاقتراب النظري لـ«نظرية الممارسة» ـ«بيار بورديو»، حيث تحتوي هذه النظرية على العديد من المفاهيم: «الحقل»، «التمايز»، «الهابتوس»، «الهيمنة»، «العنف الرمزي»، «السلطة الرمزية»، «التفاعل الاجتماعي»، «رأس المال المادي، الثقافي والرمزي» وغيرها، التي وظفناها في تحليل الممارسة السلفية للشباب، في إطار القيم التي يعتمدونها في التمايز والصراع .

المنهج: إن الطبيعة الكيفية للدراسة جعلتنا نقوم باختيار المنهج «الفهمي التحليلي» وفق «الفهم الفيبيري» لـ«ماكس فيبر»، وقد

استخدمنا هذا المنهج لإثبات العلاقات التي يفرضها بين متغيراته الكيفية؛ لهذا لا يدرس المنهج الكيفي عددا كبيرا من المفردات، وإنما يكتفي بدراسة عدد قليل فقط من الحالات المعقدة؛ إذ إن وظيفته الأساسية هي الفهم العميق(مجموعة مؤلفين، 2017: 100)، ويكون هذا العمق عبر الالمام بالجماعة السلفية، وما تتمركز عليه القيم الدينية للشباب السلفي، والتعرف على تصوراتهم حول القيم المحلية.

التقنيات المستعملة : لقد استخدمنا التقنيات التالية:

المقابلة: وهي بمثابة الأداة التي تسمح بالولوج العميق، عن طريق جمع البيانات والمؤشرات المرجوة لفهم الأبعاد التي يستخدمها الباحث لتفسير معاني ودلات الظاهرة، حيث يكون الباحث مهتما بخبرات الأفراد وسلوكهم وأسباب تعاملهم وتصورهم للحياة الاجتماعية بهذه الطريقة(بوب ماتيوز ، ليز روس، 2016: 455)، وعليه قمنا باستخدام «المقابلة المفتوحة»، التي من حسناتها أنها تشعر المستجيب بأنها هي المقابلة الطبيعية دون تقييد لحرية تعبيره (منذر الضامن، 2007: 102)، وهذا لفهم طبيعة المنظومة التي يعتمدها الشباب السلفيين في بناء تصوراتهم ومعاني وجودهم، في ظل القيم المحلية التي يتمايزون عنها.

الملاحظة: هي تقنية مباشرة للتقصي، تستعمل في مشاهدة مجموعة ما بصفة مباشرة، وذلك بهدف أخذ معلومات كيفية من أجل فهم المواقف والسلوكات(موريس أنجرس ، 2006: 184)، ورصد الدلالات والمعاني لعينة الدراسة، وإيضاح المعارف عن طريق المشاهدة الدقيقة لظاهرة ما (غريب محمد سيد، 1986: 268)، وقد ساعدتنا في رصد الايماءات والسلوكات السلفية للشباب، وقد استخدمناها منذ بداية تفكيرنا في الدراسة، بغرض جمع وفهم العديد من المعطيات.

مجتمع الدراسة: يعتبر هو المجتمع الإحصائي الكلي للدراسة، وقد شمل «الشباب الذي يتبنى التدين السلفي»، وكان مجتمعا ممثلا في الذكور فقط.

العينة والمعاينة: تعتبر العينة من التقنيات المركزية في البحوث السوسيولوجية، وعليه يمكن القول أن سحب جزء من مجتمع الدراسة يطلق عليه اسم العينة « sample » والعملية التي تتم بهذا الشكل

يطلق عليها المعاينة(منذر الضامن، 2007: 160)، وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على «العينة غير الاحتمالية» الممثلة في «كرة الثلج»، حيث قام المبحوثين بتوجيهنا لبعضهم البعض، وقد اخترنا «12 مبحوثا» من الذكور فقط لإجراء المقابلات. أما «المعاينة» فكانت بشكل رئيسي على أساس القرابة والعلاقات الشخصية مع بعض السلفيين، الذين فسحوا لنا المجال للوصول إلى أفراد الجماعة، خاصة وأن بعضهم رفض الحديث معنا في البداية، بحجة الالتزام والخوف من إعطاء أحكام تكون ضد السلفيين والجماعة نفسها.

مجالات الدراسة: يمثل المجال المكاني الذي قمنا فيه بدراستنا الميدانية، متعلقة بالشباب السلفي لمدينة تيسمسيلت، مع عينة من الشباب الذين شملهم مجتمعنا الاحصائي. وامتدت الدراسة الميدانية ما بين الفترة «2019/11/15، الى غاية 2020/01/03»، وشملت الميدان والتحليل معا.

المعايير السوسيولوجية للمبحوثين

المتغيرات	التكرار		النسبة%	المتغيرات	التكرار		النسبة%
السن	من 18 الى25 سنة	05	42	نوع العائلة	نووية	09	75
	من 26 الى 33 سنة	07	58		ممتدة	03	25
	المجموع	12	%100		المجموع	12	%100
مدة الالتزام	أقل من أربع سنوات	03	25	مكان الاقامة	ريفي	02	17
	أكثر من أربع سنوت	09	75		حضري	10	83
	المجموع	12	%100		المجموع	12	%100
المستوى التعليمي	ابتدائي	00	00	المستوى المعيشي	متدني	01	08
	متوسط	01	08		متوسط	09	75
	ثانوي	04	34		مرتفع	02	17
	جامعي	07	58		المجموع	12	%100
	المجموع	12	%100				

التأويل السوسيولوجي للمقابلات: إن استنطاق الخيال السوسيولوجي لفهم طبيعة التمايز والصراع من طرف السلفيين مع القيم المحلية، جعلنا نخضع لطريقة تحليل الفئات المتكرر عبر «تحليل الموضوعات»، وعلى هذا الأساس يجب أن يكون هذا التحليل ذو

علاقة بفرضيات البحث، ويلعب هذا الدور الفئات (سعيد سبعون، 2012 :231)، من أجل الوصول إلى نتائج دقيقة في معالجة ظاهرة التمايز والصراع لدى السلفيين، مع قيم محلية لتشكيل قيم بديلة.

السلفيين وفكرة قيم الجماعة المرجعية كبديل عن العائلة:

يرى «بيار بورديو» أن أي تعريف شرعي للواقع الثقافي يحول ذلك التعسف الثقافي إلى سلطة شرعية، وكل سلطة تطال فرض دلالات، وتطال فرضها على أنها شرعية، أن تواري علاقات القوة التي هي منها مقام الأس لقوتها، إنما تزيد إلى علاقات القوة تلك، قوتها المختصة بها، أي تحديد قوتها الرمزية(بيار بورديو، جان كلود باسرون، 2007: 102). وعلى هذا الأساس باتت الهوية الدينية للسفليين كتحديد ثقافي، لتبرير سلطتها الرمزية تبلغ ذروتها، في تخطي الجماعة نفسها، وتوطيد هوية دينية فردية، إذ أن أي إيمان بات يجد مرتكزه في العالم الديني، وليس في الحياة الاجتماعية(آلان توران، 2011 : 298). ليتخطى هذا التعسف أيضا الأسرة، التي كانت تهيمن على القيم، بإنتاجها وبناء الاستعدادات والرموز لدى الأفراد.

إذ أنه وبمجرد التزام الشباب بالنمط السلفي تبدأ ملامح الصراع الأسري، بين السلفيين والآباء، إذ يعتبر الشباب أن الهوية السلفية عوضته عن العائلة، وحتى عن المجتمع، وعضوية الفرد في جماعة السلفيين، حتى وإن لم تكن رسمية، أو واضحة الهيكلة والبنية، فهي تعيد برمجته، كما أن الانتقال إليها لا يترتب عليه أي إجراء قانوني، لكن هناك تغيرات ثقافية وهوياتية ودينية، تطرأ على السلفي الجديد، حيث يخسر المجتمع فردا، وتكسب الجماعة مؤمنا، يقدس النمط الجديد، وينظر إليه على أنه قطعة من إسلام لحظة الوحي «مجتمع الصحابة»، وبذلك تكون لديه القابلية للتنكر لكل ما تربى عليه، واستلهمه عن طريق التنشئة الاجتماعية والسياسية والمدرسية، فالسلفية تقدم بديل لكل شيء، «نقي، واضح، مختصر»، وليس بينه وبين الله واسطة، وهذا ما أكده أحد المستجوبين: الحمد لله الذي هداني إلى الحق، وكل ما أريده من الله أن يهدي أبي وأمي وإخوتي، الى

طريق الحق والى طريق الهداية، فأنا اليوم أعيش لله ولا أعيش لغيره (مقابلة رقم:01).

إنه خطاب مهول ومخيف، وكأنه قد أسلم حديثا، وترك الشرك، لكنها الجرعة السلفية الحادة من «التوحيد»، حيث يصبح الفرد يعتقد أن أسرته لا تعرف «عقيدة التوحيد»، وهنا تكمن المعضلة، فالمعرفة غير الحقيقة للتوحيد، لا يمكن التغاضي عنها سواء من طرف الوالدين أو الاخوة أو الزوجة والأبناء، وهنا نجد الجماعة الجديدة للمؤمن الحديث وكأنها وفرت عليه إزاحة تلك السلطة الأسرية، بأسلوب شرعي وأعطت له تبريرا للتمرد وخلع الطاعة والرقابة على ممارساته، وأفكاره وثقافته، وهذا ما يؤكده «بورديو» الذي يرى أن الهابيتوس، يشمل على وجه الخصوص، من حيث إشراكه لتصور الموقع في الحقول وفي الفضاء الاجتماعي، بوصفه حجزا للفاعلين في مسار ضروري وفي مصير ما(ستيفان شوفالييه، كريستيان شوفيري، 2013: 121).

وإذا عدنا للواقع فإن موروث الأسرة كحقل يملك مخزونا ثقافيا، ينعته السلفيين بالبدعة، التي يحاول الشباب تغييرها بمجرد تعاقده الرمزي وبناء السمت والاستعداد مع الجماعة السلفية، وهنا يعود لتوجيه الآباء دينيا وعقديا وتعبديا بكل حماس، خلافا لما يتوقعه الأب التقليدي من أفراد عائلته، من الطاعة والامتثال لمشيئته، والتجاوب مع رغباته وتعليماته، من دون تساؤل، ويحرص الوالد ألا يسمح لأفراد الأسرة بمناقشته والتدخل في شؤون حياته، فيملي عليهم من فوق إلى أسفل أوامره وإرشاداته وتعليماته وتهديداته، ويكون عليهم أن يستجيبوا باحترام وطاعة(حليم بركات، 2006: 118)، إلا أن المؤمن الجديد، داخل الأسرة، ينظر إلى نفسه وكأنه وصل إلى المنبع الصافي للإسلام، ويكتشف الكثير من الترسبات في تدين الأب، وبذلك تكون لديه جرأة الاعتراض، والتساؤل والرفض، وفي القرآن الكثير الكثير، من قصص الأبناء الصالحين مع الآباء الضالين.

ولذلك يجد السلفي الشاب، فرصة للتمرد على الأسرة، إنه يعرف الحقيقة وهي تعرف الزيف، وبذلك لا مجال للطاعة والانصياع بعد اليوم، فالجماعة من هذه الزاوية تجاوزت ما عجزت عن توفيره

العائلة، التي لا تسهم في الاعتراف بالشاب وقدراته، ««فالآباء عادة لا يعترفون بقيمة جهد يبذل في غير التحصيل الدراسي، ولا يهتمون بغير التفوق في الدراسة، ومن ثم فغالبا ما يكون موقفهم من انشغال الشاب بهواياته وتكريسه لها، الرفض الذي لا يقف عند حدود وجهة النظر، بل يتعداها إلى حرمان الشاب من الوقت والمال والجهود، الذي يلزم لإخصاب الهواية وتحقيق شيء منها(ماجد قروي،2017: 10).

وهنا يجد السلفيين رمزية رأس المال الثقافي السلفي، لكسر القيم التقليدية، وتجاوز الأسرة أو العائلة، إلى عالم الجماعة السلفية التي يعتبرها أكثر اعترافا وإقناعا، كما يمكن القول أيضا، أن الشباب السلفي يجد ذاته خارج عائلته، خاصة وأنها لا تهتم حسبهم بالدين وإرضاء الله، وإنما تقدس تلك التقاليد والأعراف دون إرشاده وتوجيهه دينيا، إذ يؤكد «بورديو» أنه لا يوجد شيء بلا رمزي، وبالتالي تصبح القيم الرمزية للسلفي ليست هبة عشوائية، بل هي اختيار معقلن يفرضه منطق الشرعية، القائم على مكانة المفوض في تراتبية السباق نحو التميز، وتتحدد هذه المكانة بمقدار الرساميل التي بحوزته، وأهمها رأس المال الثقافي المحول إلى رأسمال رمزي، الذي يسبغ على «السلفي» الاحترام والتشريف «الديني» (عمر داود، 2013: 215)، وهذا ما أكده أحد المبحوثين: ليس هناك التزام ديني في أسرتي، الله المستعان، اختلاط، نوم عن الصلاة، ليس هناك حجاب شرعي، والاكثر من ذلك بدع محذورة وعادات تخالف الشرع، ولا أملك إلا أن ادعوا الله لهم بالهدايا(مقابلة رقم: 03). إنه نوع من التحسر على وضعية الأسرة المخالفة للشرع، وفي نفس الوقت، اعتزاز بما أصبح يعرفه المؤمن الجديد، عن طريق جماعته، التي قدمت له أسلوبا للخلاص.

ولعل التزام السلفيين بـ«النصوصية المفرطة» أيضا، وجرعتها الزائدة، يسرع تحويل الأسرة من طابعها «الوراثي الممتد»، إلى «الطبيعة النووية»، دون العبء بالحالة الاجتماعية، إذ يرفض أغلب السلفيين بعد الزواج الإقامة في المنزل مع الأهل، بحجة اللقاءات والاختلاط دون محارم في العائلة، حتى أن بعضهم من ميسوري الحال يلجأ للإيجار، وتساهم الجماعة في إعالته، إنها قيم التدين الجديد

التي يسوغ فيها السلفيين فساد قيم الأسرة وتبريرا لهجرها، لكنه هجر شرعي حسبهم، مستمد من النص، حيث يقول المبحوث: هجرت الأسرة لأن هناك محاذير شرعية يرتكبونها وتكلمت معاهم وبعدها خرجت من الدار وراني مستأجر سكن بفضل الله وعاونوني الاخوة (مقابلة رقم: 02). إنها إحدى معاني اللعب للتمايز واستراتيجية للصراع حسب «بورديو» لاحتلال موقع وشرعنته، فالفرد السلفي يبقى بعيد ومنسحب من الأسرة ومتمايز عن قيمها، لكنه في الوقت ذاته، يعتبر أن هذا الاعتزال امتثال للدين وآلية لتأديب عائلته، ويعتبرها امتدادا لقيم «التربية والتصفية»، التي أسسها « الشيخ الألباني»، مستمدا قواعدها من سيرة النبي ودعوته في البعثة لتربية «جيل الصحابة»، وكيفية تعاملهم مع الأقربين، وأيضا بالاستناد على الآيات والأحاديث، كقوله تعالى: «وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً»(سورة المزمل، الآية:10)، إنها سلطة رمزية لا تفرض نفسها من خلال هذه الأوامر فحسب، إنما بممارسة تبدو طبيعية تمس اللغة وأنماط السلوك وأسلوب العيش، وتتجاوز ذلك إلى عالم الأشياء(عمر داود، 2013: 215)، إنها رمزية تهيمن بها قيم الجماعة على الشباب، وينشأ لديهم نوع من التذاوت معها إلى حد المتخيل والطوباوية.

وبالتالي تشكل لديهم عنفا رمزيا مستترا يتجاوز كينونتهم، فتجعلهم الجماعة المرجعية يعتقدون أنهم يعيشون لحظة الوحي الخام دون تمييع، ولذلك يلجأ الكثير منهم إلى محاولة رسم نبضات جديدة لتسيير الأسرة، تربويا، وثقافيا، ودينيا، وإعادة ترتيب البيت زمانيا ومكانيا، وتعويض قيمه التقليدية بقيم سلفية متوافقة من النص، كما لو كانوا يعيشون في القرون التي وصفها النبي صلى الله عليه وسلم بـ«القرون الأولى المفضلة»، حيث يبادر السلفيين في البداية دائما إلى ترتيب الفضاء الجندري في ذكوريه مفرطة، ويصبح هناك فضاء ذكوري وفضاء نسوي، ليراكم ويكثف الفرد السلفي من أقوال الفتنة والستر حتى على عائلته، ويشرعن علاقة هيمنة من خلال تأصيلها في طبيعة (دينية) هي نفسها بناء اجتماعي مطبع(بيار بورديو، 2009: 46). وتظهر الكثر من التشنجات، داخل الأسرة التي ينتقل أحد أفرادها إلى

السلفية، إنه بداية صراع قيمي وديني، ينتهي غالبا إلى ترك الأسرة والعيش منفردا، وهنا تسارع الجماعة إلى تلقف الفرد الذي هجر أسرته، هجرا تأديبيا، بعد أن استحال عليه العيش في وسط بيئة لا تعرف القيم الحقيقة للإسلام النقي، فالسلفي لا يعترف بالقيم المحلية المحكومة بالأعراف والتقاليد أو قيم الحداثة، أو حتى وسائلها، فمتخيله العيش في أسرة شرعية، التزما، واعتقادا جوهرا، ومظهرا، وهنا نجد كل سلفي يسارع لاستحضار «النماذج السلفية اليوتوبية»، بصورة مفرطة النصوصية والشكلانية، إنها صورة اغترابية نحو قيم الماضي والدعوة لإعادة تحيين قيمه ورساميله، التي ينظر إليها أفراد أسرته بغرابة، وفي الوقت ذاته، لا يمارسها فقط، بل يحاول فرضها، حيث يقول أحد السلفيين : عندما أقول لهم هذي حرام وليست من السنة ولم يفعلها السلف يضحكوا ويستدلوا بأقوال أناس عقائدهم فاسدة أو مبتدعة سبحان الله (مقابلة رقم: 10).

فالسلفي يحاول تخطئة كل مسألة، لا تتناسب مع المرجعية التي يعتمد عليها، وهو ما يسميه «توينبي» «الشعور بالاتحاد»« Unity of Sense»، وهو شعور البعد الواحد ووجهة النظر الواحدة، التي تعتبر نفسها هي الصحيحة والبقية خاطئة أو ضالة(أنيس منصور، 2010: 121)، وهو ما يعكس هاجس المظلومية، والمحاربة من طرف الجميع، التي تجعل الفرد السلفي يستلذ كل ما يتعرض إليه من نقد وتبخيس وإهانة بسبب عقيدته ومنهجه، إنها انتقادات تأكد له مقولة «إنك على الحق ولن يضروك بشيء»، فهكذا تبرمج الجماعة قيم الفرد، وتجعله مستعد للصراع مع الجميع، كونه يمتلك الحق والحقيقة، وهو يستند إلى النصوص، فيجادل بها، ويدافع عنها و يرد بها، إذ يؤكد «بورديو» أن أي تعسف ثقافي يستدعي تعريفا اجتماعيا محددا للنمط الشرعي، الذي يتم على أساسه فرض نموذج التعسف الثقافي، وخاصة لدرجة التمويه والانحجاب التي يمكن أن يبلغها النفوذ المتعسف، الذي يجعل النشاط التربوي ممكنا، دون أن يبدد ما لهذا النشاط من أثر(بيار بورديو، 1994: 23). حيث يتدرج السلفي في نشاطه التربوي المتعسف لهداية أسرته، بداية بتوضيح التوحيد وقيمه الاعتقادية، وما يخالفه من العادات والأعراف، كنوع من الاستفزاز

لهم، في حين نلاحظ كيف يتحول الصديق السلفي أو الأخ، وأسرته إلى الأسرة البديلة للسلفي الآخر، حيث يتبادلون الزيارات العائلية، ويلتقون في الأعراس والجنائز وكل المناسبات، ويحرصون على أن يلعب أبنائهم مع أبناء سلفيين آخرين، حتى يشعروا بنوع من التضامن، وفي نفس الوقت الاستغناء على المجتمع المنحرف الذي يحيط بهم.

إن السلفين ممن نعرفهم شخصيا يحرمون التلفاز والانترنت، وهنا يمكن القول أن مثل هذه الممارسات والقيم التي تميز السلفيين فقط، تجد نوعا من الصراع بينهم وبين أفراد أسرهم، حيث أنهم ينطلقون من قاعدة «درء المفاسد» أو «سد الذرائع»، لما يعتبرونه مصدرا للفتنة أو إدخال الفساد، حيث يقف السلفي وراء النص ليبرر مسلماته، دون عدول أو تسامح، لأنه يعتبر أنه «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»، وهي تعبير متجذرة في «السمت السلفي»، حتى لو هجر أسرته وتمرد عليها، إذ نجد هذه الحالات عند السلفيين في أعوامهم الأولى من الالتزام واتخاذهم مواقف صارمة في الالتذاذ بالتمايز، واعتبار تلك الغربة من بشاشة الايمان، وهنا يلعب السلفي الشاب دور الأب، ويعتقد أنه الوحيد من يحق له استعمال الأنترنت، لأن إيمانه يرافقه، وحتى التلفزيون، بينما يرفض اقتراب أفراد الأسرة منه، خاصة الإناث، حتى وإن كُنُّ ملتزمات، فالفتنة لا تؤتمن على المرأة، وكذلك شباب الأسرة غير الملتزمين، يقول أحد المبحوثين: كيف تجلب حاسوب وأنترنت إلى البيت، وتتركها وفيه نساء وأطفال، وكلنا يعلم ما تحمله من مفاسد، ضيعت على المسلمين دينهم، وعندما اتحدث لا أحد يستمع إلي (مقابلة رقم: 11).

بل إن بعض السلفيين يرفض تعليم أبنائه، خاصة البنت بعد سن البلوغ، بسبب الاختلاط، لأنه شكل ذلك السمت عن المرأة بأنها خلقت لتكون في بيت زوجها، وتحت وصايته، حتى أن بعضهم اكتفى بتخلي أبنائه من المدارس النظامية، وإرساله للمدارس القرآنية، وطلب العلم الشرعي، في حين وجدنا نماذج أخرى تعكس تصادما مع الأسرة من طرف السلفيين، في اختياراتهم للمناهج الدراسية، خاصة أن البعض منهم كان يدرس طب أو صيدلة أو علوم قانونية.. إلخ، ولكن بعد

التزامه تحول لدراسة الشريعة، قناعات تفرضها عليه الايديولوجيا السلفية، لتدخله في صراع مع أسرته، التي تجده يواجهها بأقوال المشايخ، ويحاول أن يبرر لهم أفعاله، تحت طائلة من الفتاوى والأحكام، خاصة التخصصات التي يكون فيها الاختلاط أو ما يعتبرها منافية للشريعة.

السلفيين وثقافة القيم السلفية لمحاكمة قيم اجتماعية:

إن الربط بين الدين «وبقية الأنساق والمظاهر الثقافية الأخرى»، وبين الإنسان، ربط شائع في أغلب الثقافات، التي بلغت درجة متضخمة من الشعور بالذات والتمركز حولها، والتي تمتعت بمركزية دينية، حيث يتم تنصيب القيم الخاصة بمجتمع ما بوصفها قيما كونية شاملة ، ويترتب على هذا حدوث عملية فرز وتصنيف، لمن يتمثل هذه القيم ومن لا يتمثلها أو يتمثل قيما أخرى مغايرة(نادر كاظم، 2004: 107)، وهنا يمكن القول أن تضخم الذات لدى السلفيين والتمركز حول القيم السلفية، جعل الشباب يستعينون بها على الانسحاب من قيم المجتمع وروابطه، بالتخلي عنها والتحذير منها، بالتجمعات التي يقيمونها، والتواصل مع بعضهم البعض كاستراتيجية للتصنيف والتنميط، رغبة منهم في تحقيق جماعة المؤمنين الموحدة، التي حرموا منها داخل المجتمع، حيث تكون الجماعة الدينية، بمثابة المنفى الاختياري، والرغبة المرغوبة، التي تعين الفرد السلفي على حياته الدينية، المثقلة والمعززة بالقيم الدينية، حيث يقول المبحوث أبو عامر: ليس هناك شيء اسمه قيم محلية وعادات وتقاليد جلها بدع وخرافات يوجد فيها حتى الشركية والمخرجة من الملة، بل هناك قيم اسلامية على منهاج القرون المفضلة، التي نلتزم بها نحن السلفيين وندعو الناس إليها، أما البدعية فيجب محاربتها حتى لو خاصمنا المجتمع(مقابلة رقم: 08).

إذ تعتبر الجماعة السلفية وعلى محدودية حجمها داخل كل مدينة، من مدن تيسمسيلت، قطعة من زمن مقدس ومكان مقدس، حيث كل شيء فيها باسم الله، وفي خدمة الله، وبحثا عن طاعة الله، هروبا من معصيته وقيم المجتمع، وبذلك تكون جنة لكل سلفي، وجحيما لكل من يراقب الجماعة من بعيد، حيث تبدوا جماعة السلفيين متزمتة، بعيدة عن

الدنيا، مبالغة في التشدد الديني، وفي إرهاق نفسها بممارسات وقيم يعتقد البعيد عن الجماعة أنها عبثية أو شكلية، بينما ينظر إليها السلفيون على أنها الغربة التي حرم منها مجتمع آخر الزمان، وبذلك تكون الجماعة بمثابة الكيان الهوياتي والثقافي الجديد، الذي يتزاور، ويتآزر فيه السلفيون، ويناقشون قضاياهم الدعوية والتربوية، ويصل السلفيين إلى خلق ائتلاف اجتماعي قيمي خاص بهم، يحرم على غيرهم دخوله، إلا بالانتقال إلى الجماعة، حيث لا ينقلون إلى المجتمع قضاياهم التي يعتبرونها خصوصية، والجماعة أيضا هي كألية لرفض قيم المجتمع التي يعتبرونها منحرفة، يقول المبحوث أبو أويس: أنا الآن في الجامعة، وتعرفت على مجموعة من الاخوة، انتشلوني من الضياع، والحمد لله، أنا اليوم مؤذن المصلى، وبعد أن كنت مشغول بالموسيقى ومصاحبة الفتيات والعياذ بالله، أنا اليوم أحضر مجالس أهل العلم، وأجلس إلى كبار طلبة العلم، ولله الحمد والمنة، إذ انجاني من رفقاء السوء (مقابلة رقم: 03). وكأنه وجد بديلا عن مجتمعه، الذي لم يقدم له سوى الانحراف، فكانت الجماعة السلفية، بمثابة طريق الهداية، حيث أصبح يحاكم كل ممارساته محاكمة دينية.

وهنا تميز السلفية قيمها الدينية وتتمايز عن قيم التيار الشعبي العام، وتخصص هذا التمييز بنسبة نفسها إلى «إسلام السلف»، كما لو أنها تصدر حكما على المجتمع حولها بالتقصير عن الوفاء بقيم الإسلام، وتنصب نفسها قائما بمهمة التذكير والدعوة، وأحيانا الإكراه على تلافي هذا التقصير، حيث يمكن وصفها بالإسلام المحتسب، أو ممارسة الحسبة الدينية، ومراقبة القيم والشعائر، وقبول المقبول منها سلفيا، ورد المرفوض منها سلفيا أيضا، حيث أنها لم تعد تعمل على أسلمة المجتمع، بقدر ما أصبحت تميل إلى أسلفته، وهذا ما ولد ردود فعل متمايزة لدى التيارات الأخرى، اتجاه السلفية، ردود تتراوح قوتها بين رفض مضمونها مع قبول أسسها، خاصة أن السلفيين يرفضون الكثير من القيم الاجتماعية ويعتبرون أنفسهم مخولين للإحياء وبعث التدين في صوره الصافية النقية، لأن التجديد للقيم الاسلامية التي انحرفت، أصبح جزءا من شخصيتهم وقيمهم، في ظل التحفيز على رمزية القيم الدينية كما يتخيلها السلفيين، واتخاذها لإنتاج

الرابطة الحقيقية بينهم، بتصريح المبحوث أبو البراء: الحوار بيننا وبين المبتدعة لا جدوى منه، لأنه يعرفون الحق وينفرون منه، ولذلك نحن نريد أن ندعوا العوام، كونهم جهلة ولا يعرفون صحيح الدين وقيم الاسلام، لكن قلوبهم يمكن أن تقبل الحق، لأن لديهم ممارسات وعادات وتقاليد منحرفة عن الاسلام(مقابلة رقم:12). إن الجماعة السلفية هنا تفرض هيمنة رمزية مستترة كما يقول «بورديو» سواء من حيث الممارسة، أو السلوك، أو منهج التفكير والتلقي، لأنها تقوم بدور القانون ولا تقترح ثقافة هي حكر بمجتمع حقيقي. باختصار لتكون الرسالة كونية يجب أن تكون بسيطة وواضحة «افعلوا ...لا تفعلوا» (أوليفيه روا، 2003: 186)، باعتبار رأسمال السلفي مبني على الفكر التثنوي، حق، باطل، سنة، بدعة، توحيد، شرك، وهنا يصنف القيم الى دينية وغير دينية مبتدعة.

وعليه نجد الشباب السلفي يجري تقديس كل شيء، ونقله من العادي إلى الديني، فمثلا في أعراسهم وقيم الزواج، نجدهم لا يعترفون بقيم المجتمع المحلي، بل يحاولون قدر المستطاع محاكمة تلك القيم المحلية، باعتبارهم «جماعة طهورية»، حيث تجدهم لا يعترفون بالبهرجة والاحتفال الموسع، وإطلاق الاهازيج في ولائمهم، بل يحاولون التقشف والتزهد قدر المستطاع، لأن الفرد السلفي يؤمن أن تلك سنة النبي صلى الله عليه وسلم ومنهاجه وقيم إسلامية، وأن المغالاة فيها منع للبركة وفتح للشيطان، إذ يعتبرون تلك الممارسات الاحتفالية، ما هي إلا قيم وعادات تسربت للمجتمع، باسم الدين أو قيم غربية فرضتها العولمة.

إذ نجد أغلب السلفين يرفضون تلك القيم، مثلا التي تسبق الأفراح، من ختان أو عقيقة وأعراس، ولا يزيد السلفي على إقامة الفرح على دعوة شيخ لتقديم الدرس، وتذكير الحاضرين، خاصة أن المدعوين يكونون في الغالب سلفيين، دليلا على «قيم التضامن العقدي»، وهنا تبرز ملاح القرابة الدينية، حيث تكون الأولوية للإخوة السلفيين، في حضور ولائمهم، وهذا ما يؤدي غالبا إلى حدوث صدامات بين الابن والأسرة، وبين الأقارب، عن طريق التعليمات الصارمة التي يشرف عليها السلفي بنفسه، كمنع الاختلاط، والتصوير ورقص النساء، والغناء

بالموسيقى، أو أي مظهر من مظاهر المجتمع المحلي، فالعرس السلفي مثلا في مخيلة الشاب السلفي، هو على طريقة الصحابة، وعلى منهاج النبوة، إذ يقول المبحوث أبو خولة: تزوجت السنة الماضية، ولله الحمد، حيث تكفل الاخوة بالعرس ومصاريفه، وكذلك اغدقوا عليا بالهدايا والاموال، جزاهم الله خيرا، وقد كان عرسا مباركا، لا غناء ولا اختلاط، ولا أي شيء يغضب الله تعالى، الحمد لله على الاسلام ونعمة السلفية(مقابلة رقم: 05).

إن العقل السلفي يحول الوليمة إلى طقس مقدس، وكذلك لا يعقد القران إلا من شيخ سلفي، حيث يقول أحد السلفيين: رفضت إقامة القران لأن ولي الزوجة جلب شيخ غير سلفي فرفضت إقامة الخطبة، وبعدها أنا جبت شيخ سلفي وتوكلنا على ربي(مقابلة رقم:09). إنها قيم تمثل أسمى معاني التمايز واللفظ للمحلي، تجاه من يعتبرونه يحمل قيما غير سلفية، إذ تتشكل على هذا الائتلاف بينهم روابط اجتماعية، تحول الزواج إلى أشبه بـ«الزواج الأندوغامي»، الذي لا يخرج عن إطار «الجماعة القرابية»، ويعود ذلك إلى المعونة والتكافل بينهم في ترشيد علاقاتهم، وقيمهم، ودعمها في الأفراح والمناسبات والمأتم، حيث يمكن الاشارة إلى بروز القرابة الدينية، وتكوين «جماعة أخوة»، حيث يربطهم نفس نمط التدين، وهو يبيح لهم هجران الأهل والاخوة من مجتمع الانحراف، والتكتل مع أقربائهم الدينيين، ضمن مجتمع الخير والفلاح، إنها «السلطة الرمزية» للجماعة حسب «بورديو»، من حيث هي قدرة على الإبانة والاقناع، وإقرار رؤية عن العالم أو تحويلها، ومن ثمة قدرة على تحويل التأثير في العالم(بيار بورديو، 2007: 56، 57).

وهنا نجد أن محاكمة القيم الاجتماعية من قبل السلفيين تمنحهم القدرة على إبراز الهوية السلفية، وتستعرض عقائدها وقيمها، وهي نوع من أخذ الاعتراف من أولئك الشباب، الذين تسمح لهم الجماعة بإنشاء قيم دينية يعتبرون أنها مغيبة، كما تمكنهم من تجاوز الأزمة الهوياتية، فإحلال «القيم السلفية»، ما هي إلا تعبئة للفراغ، الذي يعيشه شباب يرفض أعرافا وقيما ينعتها بالعتيقة والمبتدعة، فثقافة السلفيين تجاه القيم الاجتماعية، غالبا ما تؤطر بالنص أو الدليل، الذي يمكنهم من

إبراز القيم الدينية لمحاكمة القيم الاجتماعية، الموصوفة حسبهم بالبدعة، كما أن هذه القيم توفر عليهم جذب مريدين جدد. وبصورة عامة، فإن السلفين يعتبرون أن القيم فقدت نقائها وصفائها الديني، وبالتالي يكون عليهم وجوبا العودة للقيم المجردة من الثقافة المحلية، والعادات الموروثة، وهنا يمكن القول أن تلك القيم الدينية أصبحت كرمزية يلجأ إليها الشباب السلفي، من أجل التعبئة الاجتماعية والدعوة للجماعة، واتخاذها كألية لتغيير الآداب والأخلاق الاسلامية، فالإسلام حسب المعتقدات السلفية لم يترك أي شيء إلا قدم فيه توجيهات، حتى يكون شرعيا موافقا للكتاب والسنة، وبالضرورة على فهم سلف الأمة.

الخاتمة:

من خلال هذه الدراسة يمكن القول أن الشباب السلفي، عن طريق عقلية الربط بين قيم الماضي والحاضر، وإضفاء القداسة على كل ممارساتنا اليومية، نجده يعمل على هدم الأسرة الحالية وقيمها، مع إعادة البناء في نفس الوقت، عن طريق تكوين أسرة سلفية، حتى وإن كانت محدودة العدد، والتأثير، إلا أن المشروع السلفي من خصائصه النفس الطويل، وبعد المدى، فلذلك نجده يعتمد على فكرة الهدم والبناء للقيم المحلية في نفس الوقت، من أجل الاصلاح الكلي للمجتمع، وبتصورات صارمة ومحكمة مع القيم العقدية والتعبدية، ليجعل السلفيين الشباب من أنفسهم الأحق بموروث الأمة وقيمها، وهنا تصبح جماعة السلفيين ذات قيم متمايزة ومتصارعة مع المجتمع وقيمه المحلية، ويتحول ذلك التمايز والصراع من طرف الشباب إلى الغربة والاعتزال من أي مظهر ثقافي وقيمي، يعتبر غير متوافق مع الجماعة المرجعية لهم.

قائمة المراجع:

- آلان توران، (2011). براديغمات جديدة لفهم عالم اليوم، تر: جورج سليمان، مر: سميرة ريشا، ط1. بيروت لبنان: المنظمة العربية للترجمة.
- أنيس منصور، (2010). الرمز والوعي الجمعي: دراسات في سوسيولوجيا الاديان،ط1. القاهرة : رؤية للنشر.
- أوليفيه روا، (2003).عولمة الإسلام،ط1. بيروت لبنان : دار الساقي.
- بوب ماتيوز ،(2016). ليز روس، الدليل العملي: لمناهج البحث في العلوم الاجتماعية، تر: محمد الجوهري ،ط1. المركز القومي للترجمة.

- بيار بورديو ، جان كلود باسرون، (2007).إعادة الإنتاج : في سبيل نظرية عامة لنسق التعليم، تر: ماهر تريمش،ط1. بيروت: المنظمة العربية للترجمة.
- بيار بورديو، (2007).الرمز والسلطة، تر: عبد السلام بنعبد العالي، ط3. الدار البيضاء، المغرب: دار توبقال للنشر.
- بيار بورديو، (2009).الهيمنة الذكورية، تر: سلمان قعفراني، مر: ماهر تريمش، ط1. بيروت: المنظمة العربية للترجمة.
- بيار بورديو،(1994). العنف الرمزي: بحث في أصول علم الاجتماع التربوي، تر: نظير جاهل،ط1. المغرب: المركز الثقافي العربي.
- حليم بركات ، (2006).لاغتراب في الثقافة العربية متاهات الإنسان بين الحلم والواقع ، ط1. بيروت، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.
- زيجمونت باومن، (2016). الأخلاق في عصر الحداثة السائلة، ترجمة سعد البزاعي، ط1. الامارات: هيئة أبو ظبي للسياسة والثقافة.
- ستيفان شوفالييه ، كريستيان شوفيري ، (2013).معجم بورديو ،تر: الزهرة إبراهيم، ط1. الشركة الجزائرية للنشر.
- سعيد سبعون،(2012). الدليل المنهجي في إعداد المذكرات والرسائل الجامعية في علم الاجتماعية، ط2. الجزائر: دار القصبة،
- عمر داود،(2013). التصنيف الطبقي بين الآبيتوس والرأسمال: قراءة في سوسيولوجيا بورديو، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، العدد:18.
- غريب، محمد سيد،(1986). تصميم وتقنيات البحث العلمي، ط1. مصر: دار المعرفة الجامعية.
- ماجد قروي،(17اغسطس 2017). الهوية الثقافية للشباب السلفي، الرهانات والابعاد ، المغرب: مؤسسة مؤمنون بلا حدود، قسم الدراسات الدينية.
- مجموعة مؤلفين، (2017).مقدمة في مناهج البحث العلمي الاجتماعي، مراجعة: ماهر اختيار، عزام امين، ط1. قطر : مركز حرمون للدراسات المعاصرة.
- منذر الضامن،(2007). أساسيات البحث العلمي، ط1. الاردن، عمان : دار المسيرة للنشر.
- موريس أنجرس،(2006). منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية: تدريبات علمية. تر: مصطفى ماضي. ط2. الجزائر: دار القصبة.
- نادر كاظم،(2004). تمثيلات الآخر: صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، ط1. بيروت: المؤسسة العربية للنشر.

- نادية عيشور، وآخرون، (2017). منهجية البحث العلمي في العلوم الاجتماعية، إعـ: نادية سعيد عيشور. تقـ: عبد الرحمان برقوق، الجزائر: مؤسسة حسين رأس الجبل للنشر.

- للإحالة على هذا المقال:

ـرقاد الجيلالي، إبراهيم بوعناني ، (2021)، « السلفيين بين سلطة الجماعة المرجعية وثقافة التمايز والصراع مع القيم المحلية: دراسة ميدانية لعينة من الشباب السلفي». **المواقف،** المجلد: 17، العدد: 01، جويلية 2021، ص. ص 416- 434.